**محاضـــــــرات مقيــــــــاس تـــــــــاريخ الجزائر الثــــــــــــقافي /د.حميدي شريفة**

**المستوى : أولى ماستر أدب جزائري السنة الدراسية :2022/2023**

**المحاضرة الأولى : مفاهيم عن الجزائر في العصر العثماني**

لم يكن الأتراك ليأتوا إلى الجزائر لولا غزو الإسبان إثر ضعف الدولة الزيانية التي دخل أمراؤها في صراع على العرش فاستغلت إسبانيا الوضع و احتلت المرسى الكبير في أوت 1505، و وهران سنة 1509،و بجاية سنة 1510، و أمام هذا الوضع المزري لم يجد سكان الجزائر من وسيلة إلّا الاستنجاد بالأخوين الأتراك المسلمين (عروج و خير الدين[[1]](#footnote-2) )،نظرا للروابط الدينية المشتركة ،خاصة و أن الأخوين كانا من قبل قد أنقذا آلاف المسلمين الأندلسيين من بطش محاكم التفتيش بإسبانيا .

لبى الأخوان بربروس دعوة الجزائريين و اشتبكا مع الإسبان في معارك كثيرة ،و قتل بربروس في إحداها عام 1518،و لم يجد أخوه خير الدين مناصا من طلبه من أعيان الجزائر إعلان الولاء للسلطان العثماني سليم الأول لأخذ العون و المدد منه،فلبّى السلطان سليم الدعوة و أرسل إليه قوة مؤلفة من 2000جندي انكشاري مزودة بالمدفعية و 4000 متطوع ،و أطلق عليه لقب باشا و عينه بايلر باي ،أي أمير الأمراء و بهذا دخلت الجزائر رسميا في حاضرة الامبراطورية العثمانية .

**مراحل الحكم التركي بالجزائر :**

قسم الحكم التركي بالجزائر إلى أربعة عهود :

**1)عهد البايلربات(1518-1587):**و بدأ عصر البايلربات بتاريخ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية عام 1518 و تعيين خير الدين بايلرباي عليها مع تزويده بقوة عسكرية و أسلحة و ذخائر ،و عاشت الجزائر هذه الفترة صراعات مع الإسبان ،كما امتد نفوذ السلطة التركية إلى معظم مناطق الجزائر ،وقد قسمها حسن باشا ابن خير الدين إلى أربع عمالات هي :دار السلطان (العاصمة و ضواحيها )،بايلك الشرق (قسنطينة و الشرق الجزائري )،بايليك الغرب (الذي كانت عاصمته مازونةحتى عام 710،ثم معسكر ثم وهران بعدما استرجعت من الإسبان ،بايليك التيطري و عاصمته المدية و بقي التقسيم ساريا إلى غاية العهد التركي .

**2)الباشوات (1587-1659):** و فيها كان يتم تعيين باشا لمدة ثلاث سنوات من قبل السلطان العثماني ثم يستدعيه السلطان بعد انتهاء فترة تعيينه و يقوم بإرسال باشا آخر ،و تميزت هذه الفترة بانصراف الباشوات إلى جمع الثروات و كذا بظهور الخلافات و التناقضات بين جنود البحرية الجزائرية و جنود البحرية العثمانية .

**3)عصر الأغوات (1659-1671):** يعتبر هذا العهد من أقصر العهود ،و ذلك نظرا لإقدام قادة الجيش البري على خلع الباشا و تعريف هذا القائد بقائد آخر من فئتهم أطلق عليه اسم الآغا ،و أصبح الجيش البري يعين الآغا حاكما للجزائر لمدة سنتين ،و هكذا استفحل الصراع بين الأغوات من جهة و الرياس من جهة أخرى و كانت النتيجة هي انتشار الفوضى و انعدام الأمن .

**4)عصر الدايات (1671-1830) :**في هذا العصر أصبح الداي يعين في منصبه مدى الحياة بناءا على اقتراح من الديوان العالي و تعيين رسمي من طرف السلطان العثماني و بذلك أصبحت الجزائر دولة مستقلة عن الدولة العثمانية و لا تتبعها إلّا بالاسم ،و احتفظت لنفسها بسلطات شكلية في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة ،و الاعتراف بمراسيم التعيين و التعاون في مجال الحروب بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا لاعتداء خارجي كما حصل في معركة نافارين عام 1827.

**المحاضرة الثانية :الأوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني**

عاشت الجزائر في بداية القرن ال16 م وضعا سياسيا تميز بالاعتداءات المتكررة لإسبانيا الكاثوليكية على سواحل ومدن الجزائر المطلة على البحر المتوسط ،و انتهت باحتلالها و التي أدت إلى هجرة سكانية من هذه المدن ،زادها محنة الضعف الذي أصاب السلطة الشرعية بمدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية ،كان لهذا الوضع السّيّء للجزائر تأثيره الواضح على الإنتاج الفكري الجزائري الذي تراجع بسبب هجرة العلماء من أرض الجزائر و قيام إسبانيا بتخريب مراكز الثقافة الجزائرية

وأمام هذا الوضع السياسي الذي تعيشه مدن و بوادي الجزائر جعل الجزائر تدخل مرحلة جديدة تميزت بانضمامها إلى الدولة العثمانية ،أكسبها ذلك استقرارا سياسيا مما أدى إلى عودة الحياة الثقافية للجزائر ،و قد امتازت مدن تلمسان و بجاية و مازونة و مدينة الجزائر بكثرة علمائها و فقهائها و أدبائها و انتشرت المدارس و المساجد و الزوايا ، فتضاعف التحصيل و الإنتاج العلمي و تطورت العلوم النقلية و العقلية المختلفة .

**المؤسسات الثقافية في الجزائر :**

**أ-المساجــــــــــــد:** تعتبر من أهم المؤسسات التعليمية ،و هي مظهر من المظاهر و المنشآت العمرانية التي تزخر به مدن و بوادي الجزائر ،و قد ذكر في كتب التاريخ إن مدينة الجزائر تتوفر على 12مسجدا كبيرا ،و أخرى صغيرة يتلو فيها القرآن و تعليم مختلف العلوم الفقهية من خلال الدروس التي يقدمها فقهاء و معلمون و أساتذة للطلبة من مختلف الأعمار بالمدن الجزائرية .

و من أهم مساجد المدن الجزائرية الكبرى نذكر جامع **كتشاوة** 1612،و مسجد **علي** **بتشين** و الجامع الجديد (1660)،بمدينة الجزائر بدار السلطان أما بمدينة قسنطينة فقد عرفت هي الأخرى تشييد عدد من المساجد ، ومن أهمها **الجامع** **الكبير** بمدينة قسنطينة ،و جامع **سيدي** **الكتاني** (1776)،و **الجامع** **الأخضر** و جامع **حسن** **باي** .

كما كانت مدينة تلمسان منارة علمية بانتشار المساجد ذات البناء العمراني الإسلامي المتميز ،و من أهمها :**الجامع** **الأعظم** (1080) و أعيد بناؤه بتاريخ 1135،و مسجد **سيدي** **أبي** **الحسن** **التنسي** ،و عرفت عنابة هي الأخرى أجمل المساجد مثل مسجد **صالح** **باي** 1792م.

و ما سبق فإن الاهتمام ببناء المساجد و العناية بها و كثافتها و صيانتها خلال العهد العثماني كان كبيرا ،و المشاركة في بنائها كانت من الحكام و من عامة الناس على السواء ،و كان هذا الاهتمام من دوافع دينية خدمة للمذهب المالكي و المذهب الحنفي و ارتباط المجتمع الجزائري المسلم المتعدد التركيبة الاجتماعية بدينه الإسلامي ،و انتقل دور المساجد من دور للعبادة كالصلاة إلى الدور التعليمي من خلال تحفيظ القرآن و تدريسه على المراحل التعليمية المختلفة ،و من هنا كان الدور الثقافي للمساجد مميزا من خلال امتزاج الدور الديني بالطابع الثقافي .

**ب-الــــــــــــــــــــــزوايـــــــــــــــــا :**انتشرت الزوايا التي احتضنت الطرق الصوفية في العهد العثماني بكثافة كبيرة ،و أصبح الطلبة يتلقّون العلوم الشرعية المختلفة فيها ،و انتشرت الزوايا أكثر في الأرياف و لعبت دورا إيجابيا في المدن و انتشرت أكثر في بايلك الغرب الجزائري .

انتشرت الزوايا في الجزائر شرقا و غربا و في المدن و الريف و لا نجد منطقة تخلو من أية زاوية ،و قد ساعدت السلطة العثمانية في انتشار الزوايا بالجزائر ،و وفرت المناخ و البيئة و الظروف على انتشارها ،كما ساهمت الزوايا في استقرار نظام الحكم ودعمته بالجزائر ،ومن العوامل التي أدت إلى انتشار الزوايا خارج المدن انتشار المرابطين في الريف الجزائري البعيد عن مراقبة السلطة السياسية ،و سهولة السيطرة على أهل الريف بسبب بساطة تفكيرهم و ارتباطهم بالدين الإسلامي .

و ترجع بعض الدراسات أن منطقة الغرب الجزائري اشتهرت بتواجد الكثير من الزوايا لجوارها من المغرب الأقصى الذي اشتهر بدوره ببروز الكثير من الطرق الصوفية و الزوايا التي أثرت على المنطقة الغربية من الجزائر بسبب العلاقة القوية بين البلدين من خلال الاحتكاك الدائم لعلماء البلدين و طلبتهما ،و هذا الاحتكاك أدى إلى انتشار الزوايا و الطرق الصوفية في منطقة الغرب الجزائري ،و هي أيضا عرفت احتلال إسباني لمدة طويلة استوجب على علماء المنطقة حمل لواء الجهاد ضده من خلال تربية أجيال على الجهاد و قادت الزوايا و الطرق الصوفية ذلك بحيث عرفت الزاوية بأنها مؤسسة لزعماء الطرق الصوفية وطلبتهم.

**وظائف الزاوية :** كان للزوايا نشاطات مختلفة في الحياة الدينية و الاجتماعية و الثقافية ،بل و حتى السياسية ،حيث ساهمت في الحفاظ على المجتمع الجزائري .

**1)وظائف دينية :**عملتالزوايا على تعليم تعاليم الدين الإسلامي و الحفاظ على السنة النبوية المطهرة و محاربة البدع ،و تحفيظ القرآن الكريم و تعليم العبادات و الفرائض و الآداب التي تقتضيها الشريعة .

**2)وظائف ثقافية :إن** الزاوية تربية روحية و وجدانية بالنسبة للأمي و للمتعلم حيث حاربت الأفكار الخاطئة باستثناء الزوايا البدعية .

من أهم الزوايا التي كان لها الأثر الطيب على حركة التعليم نذكر زاوية سيدي بن عزوز بضواحي طولقة ،بالإضافة إلى زاوية علي بن عمر بطولقة أيضا التي تعد مركزإشعاع ديني .

كانت الزوايا بمثابة مخازن و دواوين ،و كتب و مخطوطات من مختلف العلوم و الفنون ،و ذلك بفضل اهتمام شيوخها و أتباعها بالعلم و التعليم  **و** التأليفو النسخ ،كما كان شيوخها ينظمون ملتقيات و محاضرات للدعوة إلى الإسلام و التعريف به.

**ج) الأوقــــــــــــــــــــــــــــــاف:** يعتبر الوقف من القيم الأصيلة للحضارة الإسلامية ،و يعبر عن إرادة الخير و التضامن عن الفرد المسلم ،و يندرج ضمن الصدقات الجارية بإجماع فقهاء المسلمين .

إن علاقة الوقف بالتعليم علاقة عضوية ،حيث كان التعليم حرا من سيطرة الدولة و الحكام العثمانيين ،فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم و وسائلهم الخاصة تعليم أطفالهم القرآن و الحديث ،و كانت المدارس و الزوايا و المساجد تمول و تتغذى بالأوقاف مثل الأراضي الزراعية ،و أملاك عقارية أخرى بحيث كانت هي الأساس في تدعيم التعليم و حماية الطلبة و المتعلمين .

**د) المدارس و الكتاتيب :**فضلا عن الزوايا و الجوامع ،انتشرت بعض المدارس في المدن الكبرى و لكنها كانت قليلة إذا ما قيست بالزوايا ،كما انتشرت الكتاتيب الملحقة بالمساجد حيث كان الأطفال يتعلمون فيها القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و متون النحو العربي و مبادئ الحساب ، وتخرج منها الكثيرون ،بعضهم آثر إكمال تعليمه في كبرى الجوامع بينما اكتفى الكثيرون و خاصة في القرى بما تعلموه

**محاضرة 03:الحــــــــــــضور الصـــــــوفي في الجزائر في العهد العثماني**

**1)لمحة عن التصوف :**اختلف العلماء في أصل كلمة الصوفية هل هي من الصفة أو من الصفاء بمعنى أن الصوفي رجل صافاه الله ،أو من لفظة صوفيا اليونانية أي الحكمة ،و قد أجمع أكثرهم على أنها من الصوف اللباس أي الحكمة و قد أجمع أكثرهم على أنها من الصوف اللباس الغالب على الزهاد و هو ما يرجحه أحمد أمين لأنهم في أول أمرهم كانت هذه الفرقة تلبس الصوف زهدا في مظاهر الدنيا .

**2)التصوف في الجزائر :** يعتبر الحضور الصوفي في الجزائر فتحا في عصر الحروب الدينية التي كانت تتسابق لاحتلال مكانة وسط المجتمع الجزائري ،و قد كان الحضور الصوفي أهم ما ميز هذه الفترة من الحكم العثماني بالجزائر ،إذ راج في المجتمع الجزائري بوصفه نزعة دينية تقوم أساسا على الإعراض عن زخرف الحياة الدنيا و زينتها ،فكثرت الطرق الصوفية و انتشرت بذلك المباني الخاصة بها ،خاصة في ظل تشجيع السلطة العثمانية لهذه الطرق كونها تخدم سياستهم المعادية للشيعة ،فأغدقوا عليهم الأموال و الهبات ،فعاش فيها المتصوفة ورجال الدين يقيمون العبادات ليبلغ عددها ما يقارب ست عشرة طريقة يرجع معظمها إلى الشاذلية التي كان لها و للطريقة القادرية سيطرة واضحة في الجزائر فسيطرت بذلك على جميع مناحي الحياة السياسية و الاجتماعية و الدينية بوجه عام .

**أمّا من الناحية السياسية :** فقد كان يمثل شيوخ الطرق وسيلة يستغلها العثمانيون لاكتساب ود الناس و التقرب إليهم ،فكانت تقام حلقات يتبادلون فيها الأفكار و الآراء ،الأمر الذي أدى إلى انتشار الأضرحة و القبب و قبور مشايخ الطرق مما نتج عنه طغيان الإتجاه الصوفي رغم تحفظ بعض الفقهاء الذين كانوا يرفضون التوجه الصوفي بتاتا ،كما سيطر هذا التوجه على لحياة الاجتماعية و الروحية بوجه عام لم يسبق مثيل .

و بشكل عام فقد سيطر الاتجاه الصوفي على الوضع الثقافي في الجزائر إبّان العهد العثماني ،فقد عرفت المرحلة بروزا واضحا للكثير من الطرق الصوفية كما حظي هذا الجانب بتشجيع السلطة العثمانية و برغم أن هذه الطرق واجهت العديد من الانتفاضات إلّا أنها ظلت صامدة ،وبقيت تمثل إحدى أهم وأبرز مقوّمات الدولة الجزائرية ،فالمتصوفة ساهموا في نشر الإسلام في الجزائر و عدة بلدان إفريقية ،و في بلاد الهند و الصين و ماليزيا و أندونيسيا و غيرها ،و في المقابل كان لهم دور سلبي في تخدير الطبقات الشعبية ،و ذلك عندما تحول التصوف إلى زوايا و تكايا و حمل أتباعه كثيرا من العقائد الدخيلة التي تمتّ للإسلام بصلة .

**المحاضرة 4:دور الصحافة في المجال الثقافي في العهد الاستعماري**

**1)ظهور الصحافة العربية الجزائرية :** ظهرت الصحافة العربية الجزائرية في بداية القرن العشرين حيث شهدت ظهور أول صحيفتين جزائرتين و هما جريدة **المغرب** التي صدرت في الجزائر العاصمة من سنة1903 إلى 1913 وكانت تظهر مرتين في الأسبوع ،و جريدة **الصباح** و قد صدرت باللغة العربية و الفرنسية ،و أصدرها العربي فخار سنة 1904 بوهران ، ثم ظهرت جريدة **ذو** **الفقار** ،**سيف** **الإسلام** ،للفنان عمر راسم ،كما ظهرت جريدة الفاروق التي ترأسها عمر بن قدور.

**2)عوامل قيام الصحافة الجزائرية :**

**أ-التأثر بالصحافة الفرنسية الاستعمارية :** حرصت الحكومة الفرنسية على أن تستعمل إلى جانب الأسلحة القتالية الفتاكة سلاحا آخر تمثل في رجال الثقافة و الإعلام ،فقد قامت سلطات الاحتلال بإصدار أولى جريدة فرنسية استعمارية بالجزائر بعنوان l’estafethe de sidi Fredje ،تضمنت أخبارا عن الحملة الاستعمارية و توزع على جنود فرنسا كما ظهرت صحف استعمارية أخرى توطّد للحكم الفرنسي ،و قد أدركت النخبة الجزائرية المثقفة خطورة هذا السلاح و قد أثارت انتباههم إلى التساؤل عن الدور الذي يمكن أن تقوم به الصحافة في مجال التوعية و عندما انتهت صحيفة بريد الجزائر أصدرت السلطات الاستعمارية النشرات العامة أو بما يعرف بالمعلقات العامة بحيث كانت تنشر من خلالها قراراتها و تعليماتها إلى الشعب الجزائري ،و في 27جوان 1882 ظهرت جريدة المرشد الجزائري التي كانت تنشر قرارات القيادة العامة الاستعمارية .

**صحــــــــافة الحـــــركة الوطنــــــية :** يراد بها الصحافة الجزائرية التي تحارب الوجود الفرنسي و تنشر الوعي السياسي ، وتدعو إلى استرجاع الاستقلال ،و كانت تنطق باللغتين العربية و الفرنسية .و ظهرت بالجزائر و خارجها من 1830إلى1962،و من أهمها جريدة المجاهد و جرائد جمعية العلماء المسلمين ،فقد اتخذ الإمام عبد الحميد بن باديس الصحافة منبرا يعلن من خلاله مبادئه للرّأي العام ،فأنشأ جرائد و مجلات عديدة تبنت فكره الإصلاحي .

**أهم الصحف في العهد الاستعماري :**

**1-المجاهد :**صدرت سنة 1956 كخليفة لجريدة المقاومة التي توقفت ،وصدرت بالمغرب ثم انتقلت إلى تونس و بعد الاستقلال إلى الجزائر ،وكانت لسان حال جبهة التحرير الوطني بعد مؤتمر الصومام ،وكانت تصدر باللغتين العربية و الفرنسية .

**2-الشهاب :**أصدرتها جمعية العلماء المسلمين من سنة 1939،و كانت تصدر بقسنطينة تحت إشراف عبد الحميد بن باديس ،و تظهر كل أسبوع باللغة العربية .

**3-الإصلاح :**صدرت عام 1927إلى غاية 1939،تصدر بقسنطينة تحت إشراف **الطيب** **العقبي** ،كما أصدر العقبي لاحقا صحف :**الصراط** ،**الشريعة** ،**السنة** ،بالاشتراك مع **محمد** **سعيد** **الزاهري** .

**4-البصائر :**صدرت عام 1935إلى غاية 1956،تصدر بالعاصمة تحت إشراف الطيب العقبي ،مبارك الميلي ،العربي التبسي وكانت تصدر كل أسبوع .

كما أصدر حزب الشعب الجزائري جريدة **صوت** **الأحرار** من 1913إلى 1944،و لم تكن ملتزمة بموعد للصدور و سرية المكان .

كما أصدر المستوطنون الفرنسيون جرائدهم الخاصة التي تعبر عن اهتمامهم و بشكل عام ،يمكن تقسيم الصحف أثناء الاستعمار بحسب توجهها السياسي و أهدافها إلى :

**أ-صحافة استعمارية :**و تندرج تحت الإطار الصحف التابعة للإدارة الفرنسية و تدافع عن مصالحها مثل صحيفتي **المبشر** **و** **كوكب** **إفريقيا** .

**ب-صحافة أحباب الأهالي :**و نعني بهم المستعمرين الذين انتهجوا نهج المهادنة و التقارب مع الشعب الجزائري الذي أطلقوا عليه مصطلح الأهالي و منها صحف :**المنخب** ،ا**لمبصر** ،**افريقيا** .

**ج-الصحافة الأهلية :** و هي التي أصدرها و أشرف عليها المسلمون الجزائريون ،و لها توجهات شتى :(إصلاحية مثل **صحف** **الجمعية** ،محافظة مثل الصحف التي أصدرها الصوفين كجريدة **البلاغ** ،وطنية مثل صحيفة **صوت** **الجزائر** ،ثورية مثل صحيفة **المجاهد**).

**المصادر و المراجع :**

**-**كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله .

-محاضرات في تاريخ الجزائر الثقافي ،للدكتور فلوح عبد القادر.

1. خير الدين بربروس (1467-1546)،خضر بن يعقوب ،كان قائد القوات البحرية العثمانية . [↑](#footnote-ref-2)